وفاة الدكتور شميل

فقد العالم السوري في طليعة هذا العام رجلاً من كبار رجاله في العلم والادب هو المرحوم الدكتور شبلي شميل . كان الشميل كاتباً اجتماعياً يُعد من مؤسسي النهضة العلمية في سوريا ومصر . وله على الادب أفضال نشكر وآثار تذكر .

وكان العالم السوري خاصة ينظر الى الفقيد ، ولا سيما في الآونة الاخيرة ، نظره الى زعيم ادبي أو قائد للرأي العام ، ويعده ممثل الروح السورية الحرة الناهضة . ولا غرو فقد اكتسب الشميل هذه المنزلة بجهاده في سبيل الحق والانسانية ، وبغيرته أنى كان على الاسم السوري ، وبنزوعه الى اصلاح سوريا وانقاذها مما هي فيه من عبودية الاجيال والعادات الفاسدة والاضاليل واسعافها حين أمست تقاسي الويلات . وكان يخط لاجل ذلك مقالاته الرنانة في الصحف والمجلات العربية . وما فتىء يلتهب حزناً وأسى على حالة بلاده ويود لو يستطيع ان يفديها بحياته حتى مات منكباً على مكتبه في غرة كانون الثاني من السنة الحالية .

ولد الشميل سنة ١٨٥٢ في كفرشيما من اعمال لبنان ، في البلدة التي انتجت لنا مشاهير كاليازجيين والبستانيين . ودرس في مدرسة عينطوره ثم في الكلية الاميركية في بيروت فكان من اول طلابها . وتخرج عليها في

الطب . واتم دروسه في باريز .

ودخل الشميل ميدان الجهاد الادبي وهو في ريعان شبابه فكان يحبر المقالات الاجتماعية والعلمية وينشرها في الصحف فقام بخدمات للصحافة التي كانت حينئذٍ حديثة العهد في سوريا .

وجاهر بمبدأ دارون فكان من اول دعاته في الشرق وانشأ في ذلك الفصول والردود المسهبة . وقاسى في سبيل ذلك تحامل الكثيرين من ارباب العقول المحدودة واضطهادهم .

وهاجر الشميل الى مصر على اثر الاحتلال البريطاني اذ رأى فيها مجالاً أوسع لقلمه الحر ومبادئه الشديدة . فانشأ هنالك مجلة طبية تدعى « الشفا » فعاشت زهاء سنتين . وهجر بعدها الصحافة ولكنه ظل يمارس الكتابة معملاً مبضعه الادبي — قلمه الحاد — في بتر كل فساد في جسم الانسانية والوطنية

وكان الفقيد يدعو الى مذهب الاشتراكية زاعماً ان فيها شفاء الانسانية من عاهاتها ، وانها السبيل الوحيد الى الرقي الاجتماعي . وله في هذا المذهب نظرات خصوصية تاقية يحترمها زعماء الاشتراكية في اوروبا .

وقد ترك الشميل من الآثار الادبية المطبوعة ما يأتي —

١ — « شرح يختص على مذهب دارون » — نقله الى العربية سنة ١٨٨٤

٢ — « الحقيقة » . وهي رسالة في فلسفة النشوء والارتقاء . ظهرت اولاً سنة ١٨٨٥

٣ — « مباحث الحياة » — نشرت اولاً سنة ١٨٨٧ وقد جمعت هذه

الكتب منذ عهد قريب في مجلد واحد دعي « فلسفة الشوء والارتقاء »

٤ — مجموعة مقالات اجتماعية

وله باللغة الافرنسية مقالات شتى نشرت في بعض جرائد فرنسا ومجلاتها وقد انجز الفقيد قبل وفاته بليلة تعريب رواية « ايفجيني » للشاعر الافرنسي راسين . وكان قد دفع قبيل وفاته باسابيع الى السيد عبد الرحمن البرقوقي صاحب مجلة البيان في مصر نسخة خطية من مذكراته . ولا شك ان هذه المذكرات ستنشر وتكون ذات قيمة نفيسة في الادب .

وقد كان الفقيد ذا اسلوب طلي في الانشاء جامع بين المتانة والسهولة لم تعطله مطالعة اللغات الاجنبية بطلاء العجمة . وفي مقالته التي نشرناها في هذا الجزء انموذج من اساليب التعبير الشعيلية .

لا صولة الملوك ولا سطوة الجيوش ولا قوة القوانين تعادل قوة الصحافة . فالكاتب الذي يخط بقلم ضئيل على القرطاس الصقيل كلمات هينة ربما لا يدري ان كلماته هذه سيكون لها في المجموع أثر لا يصد ولا يقف عند حد

نحن الذين علمنا الانسان ان يكذب لاننا عاقبناه على الصدق

متى عرف الانسان في الاجتماع واجباته كما يعرف حقوقه قلّت الشرور من البشر .

ليس اصعب من مصادرة المقرر المألوف . « شبلي شميل »